IJA # 2095

Photocopies of Articles by Dr. Mājid ‘Abdul Radhā, 1991

حوار هادئ حول
قضايا ساخنة

السبب والذريعة في النهج الاميركي ـ الاطلسي

د. ماجد عبد الرضا

صحيفة الثورة - ١٩٩١/٦/٢٠

كثيرة هي الاسئلة التي لازالت مطروحة في اوساط واسعة من الراي العام في بلادنا ، رغم مرور شهور على العدوان الاميركي - الاطلسي الذي تعرض له عراقنا الحبيب .

ويأتي في المقدمة من تلك الاسئلة التي تتطلب الاجابات الشافية المقنعة ، السؤال الاتي : هل ما تعرضت له بلادنا العزيزة منذ السابع عشر من شهر كانون اول الماضي كان امرا مبيتا ، تم التخطيط له مسبقا ام انه جاء ضمن سلسلة من ردود الافعال على خطوات كان العراق قد اقدم عليها ولولاها لما حدث ما حدث ؟

قد يثير مثل هذا السؤال او التساؤل عواطف غاضبة عند بعض الاخوة ، خصوصا العاملين منهم في ميدان النشاط السياسي ، لما يحمله هذا التساؤل في ثناياه من امكانية التخفيف لما اقترفته حكومة الولايات المتحدة الاميركية وحلفائها من اطلالسيين والصهاينة والعرب والجيران في الشرق والشمال ، من اعمال العداء والاذى بحق شعبنا وبلادنا .

للاخوة والاصدقاء الذين قد يثيرهم هذا السؤال اقول مهلا ولا تتعجلوا الوصول الى حكم يجانب الصواب ولا يساعدنا على خوض النضال الناجح على الجبهة الفكرية - السياسية في الصراع الدائر مع الاعداء ولازالت صفحاته لم تنتهي بعد . وانني اذ احترم مشاعركم الغاضبة والقدر نبلها ودافعها الوطني المتحمس اقول لكم بان مثل هذا الموقف لا يساعدنا في تحقيق النجاح في نضالنا اللاحق المعقد الشاق والمتعدد الجوانب .

وحسب تقديري ، لازال هناك الكثير من التشوش والبلبلة بين صفوف جماهير شعبنا ، رغم ما يملكه من مستوى سياسي معروف ، حول جوانب اساسية في تحليل ما حدث واسبابه وجملة الامور التي يثيرها السؤال المذكور ، وهو سؤال جدي كبير ومطروح على نطاق واسع بين الناس بصيغ واشكال مختلفة ومتنوعة من حيث شموليتها وعمق محتواها .

ان الموقف الصحيح المشبع بالمسؤولية لابد ان ينطلق من الواقع السياسي الذي تعيشه جماهير شعبنا ، ايجابيا كان ام سلبيا والتعرف عن كثب عما يدور في خلدها من افكار ومشاعر . وغني عن الايضاح ان هناك فرقا كبيرا بين الاقرار بوجود الامور السلبية وبين الموقف منها والذي يتطلب التصدي للافكار والتحليلات الخاطئة بالتحليل العلمي المستند الى الحقائق ووقائع مجريات الامور وما يقف خلفها من تخطيط وفعل .

حول الاعلام

ان ما سبق يستتبع التوقف ، ولو بشكل موجز مكثف ، عند سمات العمل الاعلامي الذي نعتمده ، نحن الوطنيين العراقيين ، على اختلاف عقائدنا وافكارنا السياسية سواء في الميدان الرسمي او الشعبي ، ضمن خطة علمية طويلة الامد للعمل الاعلامي الذي لابد له ان يقام على اساس فكري يعزز قناعة المواطن بالخط السياسي الوطني ويرسيها على اسس اكثر رسوخا وانشد مناعة في مواجهة الاعلام الضخم المتعدد الامكانيات والكفاءات في الولايات المتحدة الاميركية واوربا وغيرها . ويتم ذلك كله ضمن خطة شاملة تستند الى اسس وثوابت عامة وخطط تفصيلية للمجالات المتنوعة ، خطة تتسم بالديمومة والتفاعل الحي مع الواقع ومتابعة متغيراته وما هو الجديد فيه لتطويره والتخلص مما قد عفى عليه الزمن ولم يعد بامكانه متابعة نبض الحياة وايقاعها .

وضمن هذه الملاحظات الصريحة اود الاشارة الى سمة من سمات الراي العام عندنا واقصد بها ضعف الثقة التقليدي باعلام الحكومة . واقول بان عددا غير قليل من ابناء شعبنا يحاول ان يعرف عن امور بلاده واخبارها من الاذاعات الاجنبية التي يجب ان نعترف بان قسما منها ذو مكانة متينة بين الجماهير لما تملكه من امكانيات واساليب اعلامية متطورة لا تعوزها البراعة والحيوية .

ان الجذور الاساسية لضعف الثقة المذكور تمتد في ارض ازمة الثقة التي تكونت تاريخيا بين المواطن والحكومة منذ ان تاسست الدولة العراقية المعاصرة رغم ما طرا عليها من متغييرات سلبا وايجابا . وبالتاكيد ان هذه الظاهرة لن تزول بقرار فوري . ويخطيء من يريد ان يحصل على نتائج سريعة في هذا المجال . والمطلوب خطة علمية طويلة الامد تنصف بالقدر الممكن والضروري من التاثير والجاذبية والتشويق ، والاستفادة من كل ما ممكن ومفيد من الخبرات التي توفرت في ميدان الاتصالات والاعلام الذي

يشهد ثورة فاقت كل خيال.

وربما يكون من الضروري والمفيد الاشارة ولو بعجالة الى بعض الاسس في مثل هذه الخطة.

ان الاعلام الوطني لابد وان يستند الى الحقيقة، التي هي السلاح الامضى الذي لا يستطيع اي اعلام، مهماكان كلفوا وكبيرا، ان يحجبها في النهاية اذا عرضت ضمن خطة اعلامية ناجحة كل الحقيقة للجماهير، تلك هي احدى اهم منصات انطلاق الاعلام الوطني - التقدمي. وقد تفرض بعض الضرورات، وللضرورة احكام كما يقال، ان لا يستطيع الاعلام قول كل الحقيقة في هذه الفترة او تلك في هذا الميدان او ذاك. هذا امر يمكن قبوله ولكن لابد من بعض التحديدات.

اولها، ان يحدث هذا الامر كحالة وقتية جزئية تزول مع زوال الاسباب. اي ان يكون مثل هذا التصرف هو الاستثناء النادر القليل وليس القاعدة.

ثانيها، ان لا يقول الاعلام بما هو مخالف او متناقض مع الحقيقة.

وانطلاقا من واقع ان الجماهير الواسعة لا تستطيع متابعة ايقاع الحياة السياسية بكل سرعتها وكثرة حقائقها والتنوع الهائل في تحليلاتها لاسباب معروفة وواقعية، لابد للاعلام الناجح ان يعير كبير الاهتمام الى نسيان الحقائق من قبل الناس، وتذكيرهم بحقائق الماضي القريب الخاصة بالحدث المعين، وبالواقع والمحطات الاساسية للفترات الماضية من تسلسل الاحداث وربط حلقاتها مع بعض حسب علاقات السببية والتاثير العضوي المتبادل بينها، باسلوب علمي مفهوم مقنع، وهذه السمة الثالثة للاعلام الوطني.

ومن خلال ابراز الاحداث بوقائعها الاساسية وترابطها العضوي والتحليل العلمي السلس، ترتسم امام الجماهير تلك الخطوط الواضحة في مسار الاحداث وتحديد مواقع الاطراف المعنية واهدافها التي تتوخاها، وتحديد العدو والصديق تبعا لمواقعها في تلك الخطوط. وعلى اساس هذا كله ومن خلال النشاط السياسي للحكومة وللقوى والاحزاب والحركات المنظمة، ستاخذ الجماهير موقفها الواضح وتتحول الى قوة فاعلة من قوى الحدث في المسار التاريخي. وبالعكس من ذلك، اذا لم يتحقق للجماهير الوضوح في تمييز خطوط المواقع يصيبها الاضطراب وتنتشر بينها البلبلة وبالتالي سيكون دورها ضعيفا بل ويمكن ان يكون سلبيا.

واود ان اشير، ارتباطا بما سبق، الى اهمية وضرورة اطلاع الجماهير واعلامها من خلال تنوع وتعدد زوايا التناول بالنسبة للموضوع او الحدث لانه يوسع افق المتلقي ويسلحه بادوات تفعل فعلها مع الاعلام الاخر عندما يريد النيل من حقوق شعبنا وبلادنا. وانطلاقا من ذلك لابد ان يزداد وزن الفعاليات ذات الاصوات المتنوعة كالندوات والمناقشات والمقابلات... الخ وخصوصا من خلال التلفاز حيث تتوفر امكانية مخاطبة الجمهور بشكل مباشر ومؤثر، وهذا امر نفتقده كثيرا في ظروفنا الحالية.

الوضع الفكري للجماهير

رب سائل يسال هل هناك حقا بلبلة واضطراب في رؤية الجماهير لطبيعة المعركة التي خاضها العراق ولايزال، من حيث اسبابها ودوافعها قواها المتصارعة واهداف كل منها... الخ؟ الجواب اقوله بوضوح ومسؤولية، نعم هناك، بمقدار ما، بهذه الصيغة او تلك، مثل هذا الاضطراب والتشوش في اوساط الجماهير يتغذى يوميا على واقع الصعوبات الجمة التي تعاني منها في مختلف جوانب احياة، وما تتعرض له بلادنا من اعمال التدخل والاستفزاز ووقائع محاولات المساس بسيادة شعبنا وفي مقدمتها حقه الذي لا ينازع عليه في اختيار الطريق السياسي - الاجتماعي لتطوره ووحدة بلاده. اضافة الى ما يفرزه الوضع الدولي الذي يتسم بتداخل الخطوط، بتناقضاتها واتفاقاتها، والجهود المحمومة للولايات المتحدة وحلفائها لتكريس هيمنتها على العالم من خلال اعمال العدوان المباشر تارة، واعتماد المعايير المزدوجة وتزييف ارادة المجتمع الدولي وهيئة الامم المتحدة ومجلس الامن تارة اخرى، او بالاسلوبين معا في ان.

ان كل ما سبق يضعف نوعية وحجم الفعل لجماهير شعبنا رغم ما عرف به من وعي سياسي متقدم وطاقة مشهودة للعمل والابداع.

ان تشخيص الداء هو نصف العلاج. وسبب ما اشرت اليه اعلاه ليس هو التشاؤم او التقليل من قدرات شعبنا الشجاع الواعي، بل انه اجتهاد في وضع اليد على جانب كبير من الاهمية في نضالنا اللاحق لاحباط الصفحات الاخرى من المؤامرة الكبرى على العراق وكل حركة التحرر العربية وفي المنطقة.

ان تشخيص النواقص والاخطاء يزيد من الثقة بالنفس ويزرع التفاؤل

العلمي ويعزز الثقة بالانتصار . فلا اخطر من السلبيات الكامنة التي يمكنها ان تتحول في ظروف معينة الى الغام تتفجر تحت اقدامنا . واحسن ما نفعله ، نزع فتائل هذه الالغام واحباط نوايا مفجريها من الاعداء .

ان جذور العدوان ، بمعناها العام ، كانت قد نبتت في ارضية الطابع العدواني للامبريالية كنظام اقتصادي ـ سياسي يستمد مقومات وجوده وقوته من استغلال الشعوب ونهب ثرواتها والهيمنة على مقدراتها وتحويلها الى ملحق بائس في كافة المجالات يرتبط بنظامها وضمن اهدافها الاساسية . وما يترتب على ذلك من تخلف عن ركب التطور الحضاري المذهل وفقدانها ما حققته في نضالها من اجل الاستقلال السياسي والتطور الاجتماعي ووقوعها في براثن المجاعة والعوز والتلوث البيئوي وامراض الانقسام والتفتت الاجتماعي والقومي والديني . وسقوطها في منحدر الانحطاط العام على طريق اللاعودة الى ميادين التقدم والرقي على كافة الصعد .

تناقض البقاء وبقاء التناقض

وفي هذا الصدد لابد وان يعير الباحثون والعاملون في المجالات السياسية والاقتصادية ـ الاجتماعية والثقافية اقصى الاهتمام للاشكال الجديدة التي تتجلى فيها الاهداف الامبريالية في الظروف الدولية الجديدة وشحذ اليقظة وتعميق الوعي بطبيعتها العدوانية وتعرية الستر الفكرية المتنوعة التي تتلبسها ومكافحة الافكار الخاطئة والروح الانهزامية التي ترر تخاذلها بتبدل الطبيعة العدوانية للامبريالية والرجعية والصهيونية

والعنصرية تارة وتزوير الرغبة العادلة المشروعة لكل الانسانية في حياة امنة خالية من الحروب المدمرة والكوارث البيئية ومن الجوع والاوبئة ، وبناء حياة لائقة بالانسان واستغلال ما حققه من تقدم علمي وثقافي هائل يكفل له حياة امنة سعيدة مزدهرة ، تارة اخرى .

ان منظري الامبريالية ومن يسايرهم يستخدمون كل اشكال التزوير والتضليل الفكري لحرف النضال من اجل حل كل المشاكل والقضايا الهامة والخطيرة الناجمة عن تناقض البقاء باتجاه نظريات مزيفة ، تبشر بالغاء التناقض بين مصالح الشعوب وكل البشرية من جهة ، والاهداف العدوانية الشريرة للامبريالية الاميركية وحلفائها ، من جهة اخرى ، انه تناقض باق وله اسسه الموضوعية وان الجهد الضروري اللازم لحل تناقض البقاء يوفر الاسس الموضوعية لازالته مستقبلا .

جذور العدوان

تعرضت بلادنا الى حملة اعلامية منظمة وواسعة منذ فترة طويلة قبل وقوع العدوان العسكري الاميركي ـ الاطلسي الصهيوني الرجعي . وقد توسعت هذه الحملة واخذت طابعا اكثر وضوحا وعداء بعد وقف اطلاق النار بين بلادنا وايران .

فمنذ اليوم الاول لاعلان بدء عملية وقف اطلاق النار ، صرح اكثر من مسؤول في الكيان الصهيوني ، لقد تغير ميزان القوى في المنطقة ! وهكذا انطلقت صيحات العدوان والتآمر على العراق الذي خرج من الحرب كقوة عسكرية كبيرة ومتطورة وذات تجربة عملية رفعت من قدراته وكفاءاته واستعداداته العسكرية .

وظهرت ، لاول مرة ، دولة عربية قادرة على الوقوف بوجه نهج العدوان والابتزاز الذي تمارسه (اسرائيل) ووقوفها ضد الحق المشروع للامة العربية في تحرير اراضيها المحتلة وتمكين الشعب الفلسطيني من اقامة دولته الوطنية المستقلة ، وتحقيق مشروع حضاري انساني للامة العربية .

لقد برزت لاول مرة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني ، وهو اخر واخطر الصراعات الاقليمية في العالم التي بقيت بدون حل ، امكانية عسكرية واقتصادية وعلمية ، واقتصادية وعلمية ، قوية ومتقدمة ، يمكنها ان تلعب دورا فعالا في تحقيق اهداف العرب والانسانية . لما بان بروز مثل هذه القوة الكبيرة ذات من امكانيات الحل السلمي وتجنب طريق الحرب المؤلم والمكلف . وهذا هو احد الاسباب التي اججت احقاد الامبرياليين الامريكان والصهيونية ودفعها الى درجة اخطر في مسارها المعادي للعراق نظرا للنتائج التي كانت ستسفر عن تحقيق حل مشكلة الشرق الاوسط المعقدة بمشاركة فعالة نشيطة للعرب وقوى التقدم في العالم بدلا من انفراد الولايات المتحدة وحلفائها بالهيمنة على مقدرات المنطقة والاستمرار على سياسة المماطلة والتسويف واهمال مطالب العرب والفلسطينيين الاساسية .

ان مخطط العدوان على العراق وعموم النضال العربي التحرري الذي اعتمدته الولايات المتحدة استند ايضا الى الاوضاع المضطربة السلبية في

المجال الدولي واستغلال الحقائق الجديدة فيه بشكل غير مشروع وعدواني . وفي مقدمتها الذريعة الموضوعية والضرورية لانهاء الحرب الباردة . واطفاء بؤر التوتر الموجودة في العالم والسير على طريق اقامة نظام عالمي جديد يكون فيه دور كبير وفعال وحاسم للامم المتحدة . وهذه العملية بكل جوانبها وحلقاتها . هي عملية موضوعية وضرورية . كانت كذلك ولاتزال . رغم ما رافقها من اخطاء وتراجعات غير مبررة في مواقف ومواقع القوى الاشتراكية خصوصا الاتحاد السوفيتي الذي تراجع دوره .

منذ شهور تتعرض المنطقة العربية لحملة عدائية مسعورة من جانب الامبريالية الاميركية والصهيونية العالمية وبتنسيق مكشوف بين الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا و(اسرائيل) .

وتتخذ هذه الحملة مظاهر مختلفة من التاليب الاعلامي والضغط الاقتصادي والتهديد العسكري المباشر . وتستفيد هذه الاوساط من اجواء الوفاق الدولي وانكماش الاتحاد السوفياتي وتراجع دوره لتنفيذ مخطط اجرامي جديد هدفه ضرب الطاقة الذاتية العربية واعاقة اي تطوير لامكانات العرب العسكرية وسواها وتمكين (اسرائيل) من احكام قبضتها على الارض الفلسطينية واخماد الانتفاضة ضد بلادنا العربية . وندد بمآربها العدوانية واهدافها الامبريالية الصهيونية المفضوحة . وندعو الى اليقظة والصمود بوجه المخطط (الاسرائيلي) والدفاع عن سيادتنا الوطنية والقومية وحماية المرافق العسكرية والاقتصادية المهددة .

اعلام مضلل وازدواجية المعايير

ومن الامثلة الصارخة التي عكست (موضوعية) الاعلام الاميركي والاطلسي ومن يتبعهما . تلك الحملات الاعلامية الصاخبة حول امتلاك العراق للسلاح النووي والقصص التي نشرت حول موضوع صواعق القنابل الذرية التي حصل عليها العراق . وموضوع المدفع العملاق . اضافة الى طريقة التعامل مع اعلان العراق تصميمه بالرد على اية ضربة عسكرية توجه له من قبل (اسرائيل) فقد تم بث موقف العراق على طريقة (لا تقربوا الصلاة) اذ شنت وسائل الاعلام الغربية حملة صاخبة شعواء من خلال التاكيد على ان العراق يمهد لتوجيه ضربة الى (اسرائيل) دون الاشارة الى موقف العراق الدفاعي لانه سيرد بعد تعرضه للعدوان من قبل (اسرائيل) . كما حدث قبل ذلك في العام ١٩٨١ عندما قصفت الطائرات (الاسرائيلية) المفاعل النووي العراقي الذي اسهمت فرنسا في بنائه والمكرس للاغراض السلمية بشهادة جهات دولية محايدة .

وفي هذا السياق لابد من الاشارة الى امر اخر تعلنت فيه الولايات المتحدة الاميركية باسلوب مزدوج وبشكل فاقع فقد شنت الولايات المتحدة الاميركية ومن معها حملة اعلامية حول الصواريخ التي يمتلكها العراق وعدتها وكذلك (اسرائيل) خطرا يهدد الامن والنظام في الشرق الاوسط فقد اشار الان غريش في جريدة لوموند بلوماتيك في شهر مايس ١٩٩٠ الى امتلاك السعودية ومصر صواريخ مماثلة لما يملكه العراق ومع ذلك لم يظهر اي رد فعل من قبل الولايات المتحدة الاميركية ضدها وهذا المثال اضافة الى الموقف من امتلاك السلاح الذري وانظمة صواريخ متنوعة من قبل (اسرائيل) يقدم دليلا قويا ضمن ادلة كثيرة . على اسلوب اعتماد المعايير المزدوجة في الموقف الاميركي بالنسبة للعديد من المشاكل الدولية والاقليمية .

اما على الصعيد العملي حسبنا ان نشير الى واقعة غنية في الاهمية تلك المتعلقة بموقف العراق من وجوده العسكري في الكويت بعد الثاني من اب ١٩٩٠ . والذي جرى طمره تحت ركام كبير من الاكاذيب والصخب الاعلامي .

ففي الثالث من اب ١٩٩٠ . سافر الملك حسين الى العراق بطلب من بعض الرؤساء العرب لايجاد تسوية عربية . ووقع اتفاق بين العراق والملك حسين على ان ينسحب العراق من الكويت في الخامس من اب الامر الذي

اعلنه العراق وبدأ فعلا بسحب قواته من الكويت . وفي ذات الوقت تسلم الملك حسين نفسه ولما يغادر بغداد بعد ، من نفس الرؤساء الذين ترجوه بالتفاوض مع العراق ، تسلم مكالمة هاتفية تخبره بالكف عن التفاوض وان كل شيء قد انتهى . وهذا حسب تصريح الاستاذ سليمان عرار الرئيس السابق للمجلس النيابي الأردني . وبطبيعة الحال فان تغير الموقف هذا اتي بناء على ايعاز اميركي[1] . وهناك حقائق مهمة اخرى تؤكد تدخل اميركا من خلال (عربها) لعرقلة كل جهد عربي لايجاد حل للمشكلة انذاك .

نستطيع ان نخرج باستنتاج مهم واساسي استنادا الى تحليل كثير من حقائق الموقف الذي سبق العدوان الاميركي على بلادنا مفاده ان القضية باسسها هي قضية اعادة ترتيب القوى في منطقة الشرق الاوسط والخليج حسب المصالح الاميركية وعلاقاتها وبما يضمن الهيمنة العسكرية والدور الرادع للكيان الصهيوني . وكذلك بما يعزز مواقف الامبريالية الاميركية في صراعاتها مع اوربا واليابان اللتين تعتمدان بشكل كبير على النفط القادم عبر مياه الخليج وفي ظروف تتميز بازدياد مشاكل اميركا واشتداد حروبها التجارية مع حلفائها وتفاقم مشاكلها الاقتصادية خصوصا حالات الركود التي تصيب الاقتصاد الاميركي وكذلك العجز الهائل في الميزانية العامة والاختلال في ميزانها التجاري مع اليابان واوربا .

ولابد ان نذكر اخيرا بان جذور هذه المشاكل والصعوبات قديمة وكذلك الحلول التي وضعت لحماية مصالح اميركا بكل الاساليب ومنها العسكرية . حسبنا ان نشير الى ان قرار تشكيل قوات التدخل السريع وعد منطقة الخليج ضمن منطقة المصالح الحيوية لاميركا تعود الى اكثر من عقدين من السنين . وفي هذا كله تكمن الاسباب الجوهرية للعدوان الاميركي الاطلسي الصهيوني الرجعي على العراق ، وما يقع خارج هذه الاسباب الجوهرية التي تم استغلالها بابشع الصور هو من الذرائع . والفرق شاسع وجوهري بين السبب والذريعة . وضمن المسافة بينهما لابد لكل الوطنيين العراقيين في الحكم وخارجه من اعمال الفكر حتى نشخص الاخطاء التي وقعنا بها . واذا لم نفعل ذلك نكون قد ارتكبنا اكبر الاخطاء تلكم هي خسارة التجربة التاريخية .

هوامش :

١ - بيان بعنوان استنكار الحملة الامبريالية الصهيونية ضد العراق والامة العربية صادر في براغ في ١٥ نيسان ١٩٩٠ باسم هيئة المخبر التي كان كاتب السطور احد مؤسسيها الاساسيين .

٢ - جريدة الشعب الجزائرية في عددها الصادر في ٤ شباط ١٩٩١ حوار مع د. خالد السلام

حركة التحرر العربي

ظروف جديدة وتحديات كبيرة

د . ماجد عبد الرضا

حركة التحرر الوطني العربية مادة لاسهامات الكثير من الكتاب السياسيين والباحثين ولا عجب في ذلك . فهذه الحركة تجسد نضال الملايين من العرب وعلى امتداد رقعة شاسعة مهمة من العالم . من اجل الحرية والسيادة والديمقراطية . ومن اجل الازدهار الاقتصادي - الاجتماعي . انها حركة جماهيرية جبارة لمئة وخمسين مليون انسان يسعون لان يكونوا من صناع التاريخ وليسوا مادة له فقط . وتحمل هذه الحركة العديد من السمات الخاصة التي من خلالها تسهم في اغناء التجربة الثورية العالمية بما تقدمه من نماذج ذات طابع اصيل ومتفرد . وهي بذلك كله من الحركات التي تشغل زمانها [1]

● ● ●

حركة التحرر العربي قوة مرموقة من قوى التغيير والتطور في عالم اليوم . وفصيل كفاحي نشيط في النضال ضد الاستعمار باشكاله القديمة والجديدة [2]

وبذلك دور حركة التحرر العربي وياخذ اشكالا اكثر اثارة للجدل والحوار الفكري والسياسي من خلال مقتربين به اقطارها من مواقع ستراتيجية مهمة وحساسة للغاية وثروات نفطية هائلة وامكانات اقتصادية ضخمة . ودورها في تحقيق وتنشيط التجارة العالمية . اضافة الى وجود واحدة من اخطر واعمق المشاكل الاقليمية واكثر البؤر خطورة على السلم والامن في العالم كله . واعني بها المسالة الفلسطينية

وقد جاءت (حرب الخليج) . بمقدماتها واسبابها وما اسفرت عنه من نتائج . لم تاخذ مداها كاملا بعد . لتزيد من سخونة الجدل والحوار وتدفع به الى مديات بعيدة واسعة . وما اثاره ويثيره ذلك كله من قضايا فكرية واستنتاجات متنوعة ومتعددة

وخلف ما سبق كله يكمن امتداد تاريخي . حضاري وديني عريق له دوره المؤثر المعروف في الماضي والحاضر . حسبنا ان نذكر ان الارض العربية كانت موطن الاديان العالمية الثلاثة الاكثر تاثيرا ونفوذا بين سكان المعمورة

وعلى امتداد الوطن العربي يعيش اكثر من مئة وخمسين مليون عربي يعملون باندفاع وحيوية متميزة في ظل ظروف واوضاع قطرية ذات الوان متعددة مختلفة تناظر في كيان واحد واسع ذلكم هو اطار الامة الواحدة وحركتها التحررية القومية ذات الابعاد الانسانية

الثوابت والمتغيرات

مرت حركة التحرر العربي منذ نشوئها باطوار مختلفة حددت ملامحها واهدافها عوامل عديدة . اجتماعية وسياسية . على النطاقين الداخلي والخارجي . ونظمت اخيرا فان ماتحدد اهم سمات حركة التحرر العربي . اي اهدافها التي تناضل من اجلها واسلوب هذا النضال . كان عاملين اساسيين هما القوى الاجتماعية التي انخرطت في النضال القومي التحرري ودور كل منها من جهة . وتوازن القوى على النطاقين القومي والعالمي . من جهة ثانية

وخلال مسيرة حركة التحرر العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر والى يومنا هذا برزت محطات اساسية وشواخص متميزة رسمت خط مسيرها بنجاحاته واخفاقاته على السواء . ولعل ابرزها الثورة العربية التي توجت الكفاح العربي القومي في اطار الامبراطورية العثمانية والنضال من اجل نيل الاستقلال الناجز للاقطار العربية كل على انفراد . وتمتع الشعب الفلسطيني بحقه في اقامة دولته الوطنية على ارضه ومقاومة الاحلاف والمشاريع الاستعمارية الصهيونية والتصدي لعدوان الكيان الصهيوني الذي اسفر عن اندلاع الحروب العربية - (الاسرائيلية) والكفاح الدؤوب المتواصل لتحقيق الوحدة العربية جزئيا او كليا . ومن خلال ذلك كله كان النضال العربي التحرري ياخذ محتوى اكثر عمقا في مايتعلق بالقضايا الاجتماعية وفي سبيل الديمقراطية السياسية والحريات العامة وحقوق الانسان خصوصا لفترة مابعد الحرب العالمية الثانية ولحد الان

لقد برزت حركة التحرر العربي كقوة تحررية لفتت اليها الانظار بما قدمته من تضحيات وما ابدته من شجاعة وما طرحته من امور فكرية وسياسية متنوعة . وهذا كله اكسبها عداء شديدا من قبل القوى الامبريالية والصهيونية العالمية وكذلك الرجعية العربية . ان اخطر اعمال العدوان واوسعها ضد حركة التحرر العربي . بدولها وقواها السياسية . تجسد في (حرب الخليج) الذي كان مركز الثقل الاساسي فيها العدوان الامبريالي . الامريكي - الاطلسي على العراق والذي لم تطو صفحاته كلها بعد

حدثت خلال المسيرة المجيدة لحركة التحرر العربي تغييرات كثيرة عميقة وواسعة . على لوحة اصطفاف قواها واهدافها واساليب نضالها وكذلك الامر بالنسبة لقوى الاعداء واهدافهم واساليبهم . وخصوصا من ناحية المتغيرات النوعية العميقة في العلاقات بين اركان القوى المعادية . اي بين الامبريالية الامريكية والصهيونية والتي تجسدت بحلف ستراتيجي على المستويين الرسمي والعملي . وجاءت (حرب الخليج) لتعطي ابعادا جديدة اكثر خطورة واشد شراسة للتحالف المذكور بانضمام دول عربية له من خلال علاقات عضوية عميقة على المستويات الاقتصادية - النفطية والعسكرية والسياسية لتكوين حلف هو الاخطر والاشد شراسة وعداء قياسا الى ماتعرضت له حركة التحرر العربي بقواها الشعبية ودولها المتحررة على امتداد تاريخها كله . ولاول مرة تتداخل على نحو واسع ومتشابك اساليب واهداف الاستعمارين القديم والجديد الامر الذي يتطلب ايلاء اهتمام كبير للعمل الفكري - السياسي واساليب النضال باشكالها المختلفة خلال المرحلة القادمة . ومما له اهمية كبرى ان مستند عمل ونضال قوى حركة التحرر العربي . الشعبية والرسمية . الى تحليل عميق للوحة السياسية الاجتماعية التي اخذت تتكون قبل وبعد (حرب الخليج) . خصوصا لجهة التحديد الدقيق لقوى الاعداء وقوى التحرر الوطني والقومي وهو من الثوابت الاساسية . ولابد من التذكير ضمن هذا السياق بملاحظة منهجية اساسية هي ان متابعة المتغيرات والمستجدات امر مهم للغاية . ولا يقل اهمية عن ذلك التاكيد ايضا على الثوابت لان خطرا جديا ذر قرنه خلال السنوات الماضية حول هذا الموضوع الذي ضعف التركيز عليه بدواعٍ مختلفة . من خلال التاكيد على الامور الجيوبية الجديدة في الاوضاع العالمية . اي صعود قضايا تجنب الدمار الشامل للبشرية من خلال الحرب النووية ومعالجة مشاكل البيئة وانتشار الجوع والاوبئة على نطاق واسع . الى مصاف الاولويات الاساسية . وهذا امر صحيح . وكذلك الاستنتاج الذي يبرز من خلال هذا النهج الجديد بضرورة اقامة نظام عالمي جديد للعلاقات الدولية يقوم على اساس العدل والمساواة ووحدة المعايير وتوازن المصالح بدلا من توازن القوى

ان الجديد في الوضع الدولي وحل مشكلة تناقض البقاء يجب ان لا يقود الى نسيان الثوابت في الوضع المذكور . اي النضال ضد الامبريالية والصهيونية . وخصوصا الصهيونية . واساليب الاستعمار القديمة والجديدة وضد القمع والاستبداد وانتهاك حقوق الانسان . بل بالعكس فهذا النضال هو من مقومات تحقيق السلام القائم على العدل . فاذا كان الجمود العقائدي والسياسي من اهم اسباب الضعف والانعزال لقوى التحرر القومي والديمقراطية . وبشكل خطرا جديا لابد من معالجته بعمق وصلابة . فان تشوش الصورة وضياع الاهداف الاساسية وعدم تشخيص القوى المعادية من شانه ان يلحق الفدح الاضرار بنضال قوى التحرر وبقضية السلام في العالم كما اثبتت وقائع السنوات القليلة التي مرت

مواجهة التحديات

كشفت وقائع العدوان على العراق وكل ما وقع في منطقة الخليج . بما سبقها وما لحقها . على نحو واضح جوهر الاهداف التي تسعى لتحقيقها الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها . فلقد انشات نظاما للتدخل العسكري بشكل سريع وفعال . وهاهي الخطة التي وضعت في مطلع ١٩٧٩ تصبح على الارض واقعا خطيرا للغاية يتمثل بقوات عسكرية متطورة جدا يمكن نقلها على جناح السرعة لاية بقعة في العالم . والاخطر من ذلك . هو نظام المبررات السياسية التي يتم الاستناد اليها لارسال مثل هذه القوات والاهداف المتوخاة من تحريكها من خلال المساواة الى حدود التطابق بين قرارات الامم المتحدة وقرارات الولايات المتحدة . ويحدث هذا على هذا النحو لاول مرة في تاريخ المنظمة الدولية العالمية ومن الامور التي تبعث على القلق الجدي ان اجراءات تطبيق قرارات مجلس الامن تتم من خلال خرق فظ لاحد بنود ميثاق الامم المتحدة الخاص باحترام سيادة كل

دولة عضو فيها . واسوا مثل على ذلك هو الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وغيرهما من قوى الامبريالية والعدوان مع موضوع وجود قوات عسكرية تابعة لها في شمالي بلادنا من خلال الادعاء الكاذب بالحرص على مصلحة الاكراد في العراق . والانكى في ذلك الاصرار على مواصلة هذا التدخل الفظ في شؤون هي في صميم حقوق السيادة لشعبنا .

ان الخيار الذي تضعه اميركا وحلفاؤها للدول العربية هو السير في ركابها بشكل مهين ومذل وبتعارض مع المصالح الاساسية لجماهيرها وتطورها الوطني المستقل . اننا امام تطور خطير في المنهج العدواني للامبريالية الاميركية يتطلب من القوى التقدمية العربية . وعلى المستويين الرسمي والشعبي . ان تقف امامه بكل مسؤولية وعناية . وبالتاكيد فان منطلق هذا الموقف المطلوب هو التمسك باهدافنا العادلة والدفاع عن حقوقنا على النطاقين القطري والقومي وبما ينسجم مع مصالح الانسانية جمعاء .

الواقع والطموح

لابد من اقرار حقيقة سلبية تتعلق بواقع حركة التحرر العربي على المستويين الشعبي والرسمي . فهذه الحركة تعاني من ضعف وحدتها وتدني امكانياتها العملية وطاقاتها النضالية . ولم يحدث ان كان التضامن العربي . خصوصا على المستوى الرسمي على هذه الدرجة من التفكك والانقسام . وهذه العوامل مع غيرها . ادت الى تشوش واسع بين صفوف الجماهير العربية . اسفر مع عوامل اخرى عن تعمق السلبية وانخفاض قدراتها النضالية .

وباختصار . لابد من الاقرار بوجود سلبيات كبيرة وكثيرة في الواقع السياسي العربي وكذلك في تفكك الكثير من الروابط مع القوى التقدمية في العالم .

ان تشخيص المعالم السلبية في الوضع السياسي العربي لايعني عدم وجود جوانب ايجابية فيه بعضها مشرق . ان الاشارة بوضوح الى السلبيات يستهدف اولا وقبل كل شيء تحريك الهمم والارادات الوطنية والقومية التقدمية للانتقال . عبر توجه علمي مدروس . نحو واقع افضل اي بكلام اخر . تقليص الفجوة الموجودة بين الواقع الذي نحن فيه والصعود الذي نسعى لكبما تصل اليه حركتنا التحررية العربية . وهناك كل المبررات لمثل هذا التفاؤل .

ان مواجهة مخطط الامبريالية الاميركية و (اسرائيل) وكل القوى الضالعة معهما من العرب وغيرهم . يتطلب دراسة عميقة جادة . واعتقد ان تحقيق ذلك هو فوق طاقة حزب او قوة عربية تقدمية بمفردها . حاكمة او غير حاكمة . وبدلا من ذلك لابد من وضع خطة عملية فعالة لدراسة جماعية توضع على اساس علمي وعملي متين وبما يحشد كل الطاقات والامكانات .

ان تحقيق اهداف الحركة العربية التحررية يستوجب تعبئة كل تياراتها الاساسية وهي حسب اسمائها الدارجة وبمضامينها السياسية والفكرية المعروفة (البعثي . الماركسي . الديني) وايجاد الاشكال العملية المرنة لتوحيد نضالها على النطاقين القومي والقطري . وفي هذا الصدد لابد من استذكار التجارب السابقة بهذا الخصوص للاستفادة من ايجابياتها وتجنب سلبياتها .

وفي اخر خطاب له بمناسبة ذكرى تاسيس حزب البعث العربي الاشتراكي اكد الاستاذ الراحل ميشيل عفلق وعلى نحو واضح ودقيق على اهمية وضرورة وحدة قوى النضال العربي في الظروف العالمية الجديدة . وقد فعل ذلك على نحو دقيق مسؤول ومنذ وقت مبكر .

وفي ظروفنا الحالية . اشار الرئيس القائد صدام حسين الى هذه الحقائق بقوله . لان قناعتنا راسخة بان الممارسة الشجاعة الواعية للديمقراطية هي السبيل القويم لتوحيد قوى النضال العربي (..) فليس من حدود تفصل اليوم نضال البعثيين عن نضال الوطنيين والقوميين والديمقراطيين ونضال حاملي شعارات الاسلام بايمان عميق .

ان العلاقات الديمقراطية القائمة على اساس التساوي والاحترام والتفاعل الحيوي والاستناد الى اشكال مرنة فعالة في التنظيم واعتماد اساليب علمية وعملية في العمل والاستقلالية عن الانظمة السياسية وصياغة شعارات واقعية معبأة كفيلة بانجاح الجهد الذي سيبذل من اجل ايجاد صيغة اكثر تطورا لتعبئة قوى النضال العربية الحية . وجنبا الى جنب مع المستوى الشعبي للحركة التحررية العربية لابد من سياسة ثابتة واضحة بالنسبة للعلاقات بين الدول العربية سواء في العلاقة مع بعضها وبالنسبة للاطار الذي يجمعها . واعني به الجامعة العربية . والاساس الذي ننطلق منه في هذا الميدان يقوم على قيام العلاقات الدبلوماسية مع الدول العربية كافة وتطوير هذه العلاقات من خلال سياسة ثابتة بعيدة المدى لاتتعارض جذريا مع اهداف النضال الشعبي ولكنها في الوقت ذاته لاتضع على عاتقها مهمة احتواء كل هذه الاهداف . وفي هذا السياق لابد من سياسة فعالة ضمن اطار الجامعة العربية وتحقيق الحد الممكن من التضامن العربي الرسمي من خلالها وهو امر في غاية الاهمية بالنسبة لميدان العلاقات الدولية ويعود بالفائدة . في نهاية المطاف . على حركة التحرر العربي . وضمن هذا التوجه . يبقى المسعى من اجل تحقيق اي شكل ثابت او مؤقت . من اشكال التنسيق والتوحيد مهما كانت درجته بين اي قطرين عربيين او اكثر على اسس ثابتة قوية . هدفا نضاليا مهما يستحق كل عناء وتضحية ودعم متواصل .

هوامش :-

---

١ - كتاب بعنوان حركة التحرر الوطني العربية - دراسات . صادر عن دار ابن خلدون - بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٨ . المؤلف ماجد عبدالرضا .

٢ - لابد ان القارىء الكريم لاحظ اختفاء كلمة (الوطني) في هذا المقال وعنوانه . من عبارة حركة التحرر العربي ووجود هذه الكلمة في المقتطف من كتاب اصدرته عام ١٩٧٨ . والسبب اننا نواجه الان اندماج مهمات التحرر الوطني والقومي والاجتماعي بصورة اوضح واعمق .

٣ - كلمة الرئيس القائد صدام حسين بمناسبة الذكرى ٤٤ لتاسيس حزب البعث العربي الاشتراكي . جريدة . الثورة . في عددها الصادر في ١٩٩١/٤/٨ .

جريدة الثورة العدد ٧١٦٥
ليوم ٨/ نيسان /١٩٩١

اسهام في الحوار حول الديمقراطية في بلادنا

الـــرأي والـــرأي الاخـــر

د . ماجد عبدالرضا

الحقائق في الحياة نسبية . عدا حقيقة وجود الحركة . المادة المتحركة منذ الازل والى الازل في المكان والزمان المحدودين . فهي حقيقة مطلقة . فالحركة والزمان والمكان هي اشكال موضوعية لوجود المادة . ولا وجود للمادة خارجها .

والمادة المتحركة موجودة بشكل مستقل عن وعي الانسان الذي يعكس وجود المادة ويعيد تركيبها بشكل عضوي خلاق . ومن هنا تنبع اشكالية كبرى في حياة الانسان تلكم هي علاقة الوجود بالوعي . وبكلام اخر علاقة الانسان بالوجود الذي يحيط به .

ان الوجود المتحرك في حيز مكاني ملموس وفي زمان محدد قادم من الماضي ومتجه عبر الحاضر نحو المستقبل فقط (امس الذي مر على قربه بعجز اهل الارض عن رده) . ان هذا الوجود يولد الجديد في كل لحظة في وعي الانسان (الذي لايستطيع ان يعبر النهر مرتين) كما يلاحظ بعبقرية فيلسوف اليونان القديم الذي ادرك قانون الحياة الخالد بان الشيء (هو هو . وهو غيره في ان) . فلا شيء مستقر ولا شيء ثابت . بل ان كل شيء في حركة وتغير دائمين . وكذلك هو الوعي الذي يعكس ذلك التغير الدائم ويلعب دورا خلاقا فيه في نفس الوقت

ان حركة الفكر لا مستقر لها طالما ارتبطت بالواقع . وهنا تطل اشكالية الثوابت والمتغيرات والكيفية التي يتم التعامل بها مع الواقع واعادة تركيبه بشكل نوعي جديد . وهكذا ضمن عملية لا نهائية لها . بدرجات متفاوتة بل ومتعارضة مع بعضها البعض الاخر في دماغ الانسان الواحد وبين انسان واخر . ومن هنا تنتصب امامنا اشكالية العلاقة بين الراي والراي الاخر . بين الافراد والجماعات . ومسالة التعامل الديالكتيكي مع الثوابت والمتغيرات حيث لا حدود قاطعة فاصلة داخل كل منها وفي ما بينها . وتاخذ هذه العملية ابعادا نوعية كبرى ارتباطا مع الثورة في علم الاتصالات والاعلام الهائلة .

ان النجاح في وضع الحلول للاشكاليات المشار اليها يقربنا باستمرار من ممارسة ديمقراطية مثقفة واعية هي جزء عضوي من ضرورات حياتنا اليومية في ميادين العمل الفكري - السياسي . وهي في ذات الوقت عنوان ساطع من عناوين رقي مجتمعنا ومعلم ثقافي حضاري بارز له . وبذا نواصل مسيرة الفكر والحضارة التي اتقد مشعلها في العراق منذ الاف السنين حيث خط الانسان اول الحروف في تاريخ البشرية مبتدئاً تاريخ الانسان المكتوب . وهكذا نربط حاضرنا بماضينا ونوفي حقهما .

• • •

اتسم العمل السياسي في بلادنا منذ تاسيس الدولة العراقية بسمات عديدة متنوعة . ايجابية وسلبية . ورغم وجود اوجه تشابه غير قليلة مع تلك التي اتسمت بها الحياة السياسية في اقطار عربية عديدة . الا انه يمكن القول بوجود خصائص عراقية .

سفر مجيد

وبدون الخوف من الوقوع في فخ المدح الذاتي او التعصب . يمكن القول وبكل موضوعية . ان الحركة الوطنية العراقية . على اختلاف انتماءاتها الفكرية او السياسية . قد مثلت الجانب الاكبر من الجوانب الايجابية للحركة السياسية العراقية . يكفي ان نذكر حقيقة سجلها تاريخ الحركة السياسية العراقية تلك التي تجسدت بارتباط الحركة الوطنية بقضايا الشعب والوطن والامة الاساسية التي تمسكت بها ودافعت عنها وناضلت . بكل نكران ذات وشجاعة وبسجل حافل بالتضحيات الجسام . من اجلها وعملت على تحقيقها بكل السبل والوسائل النضالية وبنفس مبدئي مشرف . ولعل احد العناوين البارزة للحركة الوطنية . شجاعتها في

النضال واستبسال مناضليها واحزابها ومنظماتها في الكفاح ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية . وابدى مناضلوها آيات من البطولة والفداء يذكرها شعبنا باستمرار بكل الاحترام والتبجيل .

وكقاعدة . كانت فصائل الحركة الوطنية في بلادنا قوة بارزة من قوى التقدم الاجتماعي والحضاري والنظرة الانسانية والتطور الثقافي وحاملة تراث الماضي التليد لبلادنا وشعبنا . وكان هذا كله الجانب المضيء الاساسي لحركتنا الوطنية ولكنه ليس الوحيد . فهناك الجانب السلبي والذي يمكن تلخيص كل مفرداته في نقطة اساسية تكاد هي فشلها . في اغلب الاوقات والحالات . في التوصل الى تكريس صيغ متطورة للحوار في ما بين اطرافها وتثبيت تقاليد ديمقراطية في الاستماع . استماع بعضها الى رأي البعض الآخر والحرص على ابقاء قنوات التواصل والحوار مفتوحة مهما بلغت ابعاد التوتر والجفاء في ما بينها .

وعلى العكس من ذلك تملك حركتنا الوطنية (رصيدا) كبيرا من الصدام . بما في ذلك الصدام العنفي . في ما بينها كلفها الكثير من الضحايا والخسائر . ابرزها ما لحق بقضية شعبنا الوطنية نفسها من انتكاس وتراجع الامر الذي مكن قوى التخلف والرجعية لكي تمضي في مشروعها اللاوطني وتزيد من نفوذ قوى الاستعمار والرجعية في فرض سياستها والتنكيل بالمناضلين من مختلف الاتجاهات وتلحق الاضرار الفادحة بقضية الديمقراطية وضياع الفرص التي تحققت لبناء تجربة ناجحة في هذا الميدان . ان ذلك كله جعل من قضية استيعاب الديمقراطية كمفاهيم وحقوق وواجبات والحرص الشديد على جوهرها المتجسد في اعتماد مبدأ الحوار وجوهره وجود الرأي والرأي الآخر . نقطة البدء لنجاح كل مشروع للديمقراطية .

ولكي نحقق ذلك لابد من الاقرار بأننا . كوطنيين . لا نحسن الحوار ولم نتعود بعد عليه . ومايتطلبه من حسن الاستماع والاصغاء بجدية واحترام للآخرين . وعده وسيلة مثلى لمقارنة الآراء المختلفة والتعرف الاعمق والاشمل على منطلقاتها والحرص على التفاعل في ما بينها بهدف الوصول الى درجة اعلى في التقارب والتفاعل وهكذا دواليك .

ان الحوار يستهدف في النهاية الوصول الى حلول ممكنة للمواضيع التي يدور الحوار حولها . وبالتاكيد ان هذا يتطلب الاستعداد القائم على اساس القناعة والرغبة في الوصول الى ما هو مشترك وعدم الاصرار على الآراء الخاصة في كل الاحوال والظروف وتجنب استخدام الحوار لفرض (انتصار) رأي على رأي آخر .

والحوار لايعني امكانية للنقاش والمحاججة حسب . بل انه يعني حافزا للدراسة العميقة للامور المطروحة على بساط البحث والتسلح العلمي المطلوب بالحقائق لغرض الوصول الى افضل المعالجات والنتائج والتخلي نهائيا عن فكرة (فوز) طرف على طرف آخر او اطراف اخرى . وهذا يتم عن طريق تحويل هيئات الحوار الى فرق عمل اختصاصية كقوة للعمل المشترك .

نقطة الانطلاق

ومما لاشك فيه ان دمقرطة الحوار تتطلب وجود مناخ ثقافي عميق وواسع في الحركة السياسية وفي كل الحياة الاجتماعية في البلاد . وتتطلب على نحو عميق انسنة الحياة السياسية . اي اعتماد معايير العلاقات الانسانية كالصدق والامانة وتجنب الباطنية السياسية والابتعاد عن الحاق الاذى بالآخرين وتجريد المنافسة من النوازع والقيم التي تسعى الاحزاب السياسية الوطنية الى تحقيقها في نهاية المطاف كما تزعم برامجها على الاقل . ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان اللغة العامية في العراق تسمي الحيلة والمراوغة بكلمة (بلتيقة) وهي كلمة ماخوذة كما هو ظاهر من كلمة بوليتيكا الاجنبية !.. هل ان مايسبق ذكره هو احلام يقظة . او امنيات حلوة لمتصوف ؟ قد تكون كذلك . ولكن لم اجد لحد الآن من يدلني على البديل الذي يخلص حركتنا الوطنية السياسية مما هي فيه من ظواهر بعضها هو كالمرض الخطير .

ان انغلاق منافذ الحوار بين الافراد والجماعات السياسية الوطنية وتوقف جريان مياه الحياة في قنوات الاتصال بينها هددها سابقا ويهددها الآن ولاحقا باوخم النتائج . وهذا . الى جانب انغلاق منافذ عبور الآراء والآراء المختلفة في قنوات التاثير على المنهج السياسي للسلطة السياسية كان وسيكون السبب الاكبر للظاهرة السلبية الثانية وهو الاخطر . واعني بها اللجوء الى العنف الذي اتسمت به حياتنا السياسية في اغلب مراحلها الامر الذي دفع الكثير من المحللين الاجتماعيين والسياسيين في بلادنا الى عدها جزءا من التركيب السايكولوجي للفرد العراقي والى ماعناه المجتمع العراقي من اعمال العنف منذ فجر العصر الاسلامي .

اننا وان كنا لا ننكر السمات العامة لاي مجتمع ومنها السمات السايكولوجية والتي تتكون على مدى الاف السنين . الا ان ذلك ابعد من ان يكون سببا اساسيا لتفسير ظاهرة العنف في العمل السياسي في بلادنا . فالعراقي . كقاعدة . يكون سلسا كريما وذا نخوة ازاء من يعامله باحترام ولطف وادب . وعسى ان تكون هذه الملاحظات حافزا للمختصين في ميدان

علم الاجتماع لكيما يدلوا بدلوهم بالراي والراي الآخر .

ان نقطة الانطلاق في العلاقة الصحيحة بين الراي والراي الآخر هي في كون ان اية ملاحظة او راي مهما كان صائبا وسديدا يسري عليه قانون التقادم منذ لحظة ولادته . وهو لايهرم فقط بل يولد فيه مافو جديد ايضا .

وهذه النظرة علمية ومن رحم الحياة والواقع وهي بقدر ماتولد عند الانسان ، الفرد او الجماعة ، من دوافع للتمسك بهذا التفسير او ذلك الاستنتاج في هذا الجانب او ذاك من ميادين الحياة ، فانها وفي نفس الوقت لابد وان تولد روح التفاعل الحي مع الراي الآخر الذي لابد وان يحمل جزءا من الحقيقة او ان يكون حافزا على الاقتراب من الامر الصحيح بما يطرحه من فهم خاطيء . فالاخطاء تنمو هي الاخرى على شجرة الحياة ولا تاتي من العدم .

ضوابط عامة

ماذا يعني كل مسبق ؟ هل يعني ان نفتح الباب على مصراعيه لكل من يريد ان يقول ويكتب ما يشاء بشكل مطلق ؟ ام ان هناك ضوابط عامة اساسية يتفق عليها ؟ وما هي هذه الضوابط في الظروف الملموسة لبلادنا ؟ وبعبارة اخرى ماهي حدود الديمقراطية السياسية المنشودة ؟

برايي توجد ضوابط عامة جدا واساسية لايجوز خرقها . فما هي هذه الضوابط ؟ انها اولا عدم جواز الدعوة لما يمس جوهر العقيدة الدينية للمجتمع العراقي والتي تقوم ، عند مختلف الاديان السماوية ، على الايمان بالله . وهذا مايفرض على الجميع عدم الدعوة الى مايعاكس ذلك ، اي الى الالحاد . وهذا هو الخط الاحمر الاساسي الاول .

والضابط الثاني يتجسد في الحرص على سيادة شعبنا وحقه الذي لاينازع عليه في اختيار نظام الحكم السليم والاجتماعي الذي يريده .

ولابد ان يترافق مبدأ السيادة مع هدف الحرص على وحدة بلادنا ارضا وشعبا والتصدي لنعرات الانفصال ، والتوتر القومي . وهذا هو ثاني الخطوط الحمر .

اما المجال الثالث الذي يطوله التحريم القانوني فهو اللجوء الى العنف في الحياة السياسية باشكاله وتجلياته المتنوعة وهذا هو الخط الاحمر الاساسي الثالث .

والى جانب هذا وذاك لايجوز الدعوة الى مايفرق المجتمع العراقي على اسس طائفية او عرقية . ونبذ اسلوب التجريح او القذف الشخصي بحق الافراد لان ذلك يتعارض مع مبدأ حماية حقوق الافراد . وهذا هو الخط الاحمر الرابع .

وبدلا من ذلك ، هناك اساليب النضال ، السياسي والفكري ، الديمقراطي التي تتم من خلال وسائل العمل السياسي المعروفة ، اي النشر والاجتماعات والاحتفالات والصلات الشخصية .. الخ . الى جانب الفرص التي تتوفر في مجلس الوزراء والمجلس الوطني والمجلسين التشريعي والتنفيذي لمنطقة الحكم الذاتي وكذلك من خلال المنظمات والاتحادات الجماهيرية المختلفة وحسب اختصاصها ..الخ .

ومن اسس الديمقراطية واحترام الراي الآخر ، اتاحة الفرصة للقوى السياسية غير المشاركة في الحكم لان تعبر عن رايها من خلال اجهزة الاعلام الحكومية ، كالتلفاز والاذاعة .

وهكذا ففي الوقت الذي تغلق فيه منافذ العمل المتعارض مع اساليب الحكم والعمل السياسي والاجتماعي الديمقراطي ، لابد من فتح مجالات العمل السياسي الديمقراطية المؤطرة والمحمية بالقانون الذي يسود في المجتمع . وعلى هذا النحو ترتبط في المجتمع عناصر الحقوق والواجبات بشكل متوازن وسليم .

مرة اخرى هل هذه احلام يقظة او امنيات حلوة لسياسي ساذج ؟ قد تكون كذلك . لكنني لن اتركها حتى اجد البديل المقنع الواقعي لها .

المصدر جريدة الثورة

العدد/٧٦٩٨ في ١٥ آب ١٩٩١

حوار هادئ - حول قضايا ساخنة

بوحدتنا الوطنية نصون سيادتنا ونحقق الاعمار والديمقراطية

د. ماجد عبدالرضا

صحيفة (الثورة) البغدادية ، ١٩٩١/٦/٩

الوضع الدولي يشهد تطورات ومتغيرات كثيرة وعميقة تحدث في انحاء مختلفة من العالم . منها المنطقة العربية وعموم الشرق الاوسط وما يجاورها . التي تتمتع بثقل ستراتيجي مهم لموقعها الحساس وثرواتها النفطية ووزنها الاقتصادي وامتدادها التاريخي وخلفياتها الدينية والحضارية .

لم يحدث من قبل ان اصبح الترابط والتاثير المتبادل . سلبا وايجابا . على هذا النحو من الديناميكية والوضوح بين مايحدث في مختلف القارات .

وليس من اهداف هذه السطور تقديم لوحة تحليلية عن الوضع الدولي وسبر اغوار مايتفاعل فيه من تيارات واتجاهات واحداث . وما تمثله من مصالح وافكار . رغم الاهمية الفائقة والحاجة الماسة لمثل هذا التحليل .

حسبنا ان نخلص الى استنتاج اساسي يتعلق بنا في العراق . ذلكم هو مايتعلق بالوحدة الوطنية لشعبنا العراقي . بعربه وكرده واقلياته القومية . من كافة الاديان والطوائف . بكل شرائحه وفئاته الاجتماعية وقواه الوطنية واتجاهاتها الفكرية والسياسية .

قد لايختلف اثنان على ما للوحدة الوطنية وتعزيزها المستمر وفاعليتها النشيطة من اهمية قصوى في حياة شعبنا ومسيرة بلادنا . لكننا نود تركيز الاهتمام على ماتتعرض له هذه الوحدة من اعمال . مدروسة ومخططة . تستهدف تفتيتها وزرع عوامل الضعف والوهن بين قواها . ولا نغالي اذا قلنا ان ذلك يحدث الان باشد الاساليب خبثا ومكرا وتكرس له امكانيات وجهود وقوى واسعة ومتنوعة . تستهدف النيل منها وصولا الى لبنة الوضع الداخلي في بلادنا .

مما سبق كله نتوصل الى استنتاج اساس هو في الصدارة من المهمات التي تواجه قوى شعبنا الواعية . هو حماية وحدتنا الوطني باتجاه القلب منها وردها الى محور مطلقيها .

ومما هو جدير بالتاكيد والوضوح ان يشغل بحثنا عن مكامن الضعف والانقسام في صفوفنا . نحن القوى الوطنية . وما نرتكبه من اخطاء في نضالنا وما يوجد من نواقص في اعمالنا . ان يشغل ذلك كله مركز الثقل الاساس في البحث المنشود لتصليب وحدتنا . اذ لايكفي ان نشير فقط الى مايقوم به اعداء الشعب . الامبريالية الاميركية وحلفاؤها والصهيونية والرجعية . وهو من طبيعة الاشياء .

جذور في التاريخ

ظهر العراق المعاصر . كوحدة سياسية ـ اجتماعية وثقافية . روحية ومادية . ذات خصوصية معينة ارتباطا مع قيام الدولة العراقية المعاصرة في العام ١٩٢١ بفعل الثورة العراقية الكبرى التي اندلعت في الثامن والعشرين من شهر حزيران ١٩٢٠ . وبالتاكيد فان تبلور السمات الخاصة للكيان العراقي المعاصر كان قد بدا قبل ذلك التاريخ وتمتد جذوره بعيدا في الماضي .

يمكن القول . بشكل عام . ان تبلور السمات الخاصة للمجتمع العراقي المعاصر . انما نبتت جذوره في واقع الولايات العثمانية الثلاث . بغداد . الموصل والبصرة . تلك الولايات التي كونت بلاد الرافدين . العراق . والتي كانت ترتبط مع بعضها . على نحو مميز عن غيرها من الولايات العثمانية . بوشائج وصلات عديدة متنوعة مادية وروحية . وكانت بغداد تلعب فيها دور المركز . وبذلك واصلت دورها . الذي انقطع . عندما كانت ولعدة قرون عاصمة الامبراطورية العباسية . العربية ـ الاسلامية وقلب الحضارة في العالم انذاك . ومازال تلك العملية الاجتماعية ـ السياسية بجوانبها الثقافية المادية والروحية . مستمرة ليومنا هذا وهي تاخذ طابعا متجددا عصريا يوما بعد يوم .

لقد نمت وترسخت خلال العقود الماضية روابط ومشاعر متنوعة وفي مختلف ميادين الحياة بين ابناء العراق تزداد مع مر السنين قوة ومتانة . ولعل ميدان النضال المشترك ضد الاستعماريين واعوانهم

الذي دشنته ثورة العشرين الوطنية هو من الميادين الاكثر وضوحا واشد تاثيرا في ارساء الوحدة الوطنية العراقية على اسس اكثر رسوخا واعطائها معاني متجددة .

تميز المجتمع العراقي منذ القدم وعلى نحو اوضح خلال الحقبة المعاصرة من تاريخه بتنوع كبير ، دينيا واثنيا وفكريا . وكان هذا التنوع ومايزال مصدر تلون عجيب اخاذ ، وحيوية متدفقة للنشاط الروحي والفكري للمجتمع العراقي فغدا سمة اساسية من سماته .

وبقدر ما كانت تشتد فيه العوامل والميول والقوى التي تؤدي الى تعزيز العلاقات بين ابناء شعبنا وترتفع فيه اعلى فاعلى رايات الوحدة الوطنية في مختلف ميادين الحياة ، كانت القوى المعادية للعراق على الطرف الاخر تبذل الجهود وتنحين الفرص وتتفنن في الاساليب لاضعاف وحدة العراق الوطنية . وهكذا كان ، ومايزال ، هذا الصراع ميدانا مهما حساسا وخطيرا من ميادين المواجهة بين العراق واعدائه . والى جانب القوى الاستعمارية والرجعية ، دخلت الصهيونية ، ممثلة بالكيان الصهيوني ، هذا الميدان خصوصا منذ بدء الحروب العربية ، الاسرائيلية ، .

واخذت مخططات القوى المعادية ابعادا اشد خطورة وشراسة خلال السنوات الاخيرة وتجلت باخبث صورها وعلى نحو صارخ ومكشوف قبل وبعد العدوان الامبريالي الاميركي ـ الاطلسي ، ومايزال مستمرا ، وفي الصفحة الاخيرة من مخطط العدوان للنيل من وحدة الشعب العراقي والنيل والمساس بوحدة اراضيه وسيادته عليها ، عبرة كبيرة لمن يعتبر ودليل شديد الوضوح والفجاجة لايخطئه البصر والبصيرة .

الاطر الكبرى للوحدة الوطنية

تتجسد الوحدة الوطنية لشعبنا اضافة لما سبق بالمسائل الكبرى في المجتمع العراقي ، الدين والمسالة الوطنية والتطور الاجتماعي والثقافي والقضية القومية والتجديد الديمقراطي واهداف النضال في المجال القومي وعلى النطاق الدولي . ومما لاشك فيه فالدين الاسلامي الحنيف ، كتاريخ وحاضر ، هو اطار روحي واسع وعميق يضم في اطاره غالبية السكان في بلادنا وعامل اساس فعال ومهم جدا تتجسد من خلاله وحدتنا الوطنية ويلف في ميدانه الرحب السمح تلك الوحدة ويضفي عليها مزيدا من عناصر القوة .

شهدت وحدتنا الوطنية حالات ايجابية كثيرة رائعة نعتز بها ونفخر . والى جانب ذلك ظهرت ، مع الاسف الشديد ، حالات من التصدع والضعف فيها بهذا القدر او ذاك ، خلال فترات زمنية متفرقة . اننا لا ننجح في التحليل ولن نتمكن من تلمس الاسباب لتلك الظواهر السلبية اذا نحن توقفنا فقط عند ما تستهدفه القوى المعادية وما تحققه من نتائج . فهذا جزء لايتجزأ من اهدافها وقسم عضوي من مخططاتها نابع من طبيعتها الاجتماعية والسياسية والفكرية . ولن تزول الا بزوال تلك القوى في زمن لاحق طويل .

لابد اذاً من التوقف بعمق وبقدر كثير من الجدية والوعي عند الاخطاء ، وبعضها كان كبيرا جدا ، وقع فيها قسم من العراقيين ، افرادا وجماعات ، خلال اشتداد الصراعات السياسية او تازم العلاقات القومية او استفحال نزعات التطرف الديني والطائفي . وكل ذلك يشكل حوافز اضافية جوهرية لشحذ اليقظة والتسلح ازاء مايخطط له اعدائنا . وفي سياق ذلك كله لابد من التوقف عند ملاحظتين اساسيتين هما :

الاولى : التحري عن الاسباب التي مكنت وتمكن اعداء الشعب من احراز النجاح بهذا القدر او ذاك .

الثانية : وترتبط مع الاولى وتنبع منها نجسدها بالسؤال الواضح الصريح : هل اخطانا كدولة او احزاب وحركات سياسية واجتماعية في التعامل مع عناصر التنوع في المجتمع خصوصا عند اختلال التوازن بين الحقوق والواجبات ، بين الكل والجزء وبين العام والخاص ؟ وبدون وقفة جريئة واجابة صريحة مع الذات ومن قبل الجميع ، لانستطيع ان نفهم كيف ان قوى استعمارية او رجعية او صهيونية تستطيع ان تحدث شروخا وتازما في مجتمعنا

رغم مستوى الوعي والتجربة الكبيرة لحركتنا السياسية الوطنية وقواها .

وعلى سبيل المثال لابد ان نسال ونلح في السؤال على انفسنا لماذا حدث التازم الكبير ولسنوات طوال في مجال المسالة الكردية ؟ وكيف تنجح قوى رجعية واستعمارية معروفة بعدائها لطموح شعبنا الكردي وبفكر متخلف تخطاء مستوى حركتنا الوطنية الكردية والعربية ان تؤثر وبشكل سلبي كبير ذلك التاثير الذي ترك نتائجه المعروفة ؟

مثال بالغ الدلالة

انه لامر ضروري ان نفضح قوى الاعداء ونتصدى لها . ولكن ماهو مهم وملح ايضا ان نقوم على نحو واضح وجريء ما قمنا به نحن وان نتفحص باعماق وعمق اعمالنا ، بصراحة العالم وموضوعيته ورهافة المبدع وانسانية المصلح وحرارة المناضل المؤمن وان نؤشر على مكامن الخطا في مافعلناه .

ولنتوقف عند مثال حي بالغ الدلالة ذلكم هو المسالة الكردية . ولحسن الحظ اننا نفعل ذلك في وقت تشهد فيه بلادنا والعالم تحولا ايجابيا كبيرا ومهما في معالجة الاطراف المؤثرة في مسارها ونعني بذلك موقف الدولة من جانب وقيادات الحركة الكردية من جانب اخر . فمياه الحوار الايجابي المسؤول تجري في قنوات الوحدة الوطنية بعد سنوات طويلة من الجفاف .

ان نجاح الحوار بين وفد القيادة السياسية للبلاد مع وفد الاحزاب الكردية وبلوغه الاهداف المتوخاة ليس انجازا وطنيا فحسب ، ولكنه انتصار تاريخي لارادة الشعب العراقي كله في الوحدة الوطنية ، وهزيمة اكيدة لاعدائه الامبرياليين والطامعين الحاقدين .[٢]

والى جانب موقف القيادة السياسية المسؤول والشجاع ، فان تصريحات قادة الاحزاب الكردية في بغداد في شهر ايار الماضي التي اكدوا فيها تمسكهم ببيان اذار ١٩٧٠ وان الشعب الكردي في العراق جزء من الشعب العراقي واحزابهم جزء من الحركة الوطنية العراقية ، لقيت كل تقدير واحترام .

ان ماسبق لايثير مشاعر الرضا ، بل ويثير الحوافز عند كل الوطنيين لاستخلاص جوهر التجربة التي عايشوها . وبكلام اخر سيكون من الضروري والمفيد ونحن نعيش اجواء الاخوة الوطنية التوقف عند سؤال مهم جدا هو : هل ان الذي حصل من تازم وتصدع وما نجم عنه من خسائر مادية وسياسية كان امرا يمكن تجنبه بعد التوصل الى بيان اذار وصدور قانون الحكم الذاتي بعد ذلك باربع سنوات ، في ١١ اذار ١٩٧٤ الا يجدر بالمعنيين بالامور العامة من سياسيين وباحثين ان يدرسوا بعناية وعمق تجربة تلك السنوات خصوصا فترة السنوات الاربع بين صدور البيان والقانون ؟

ان كاتب هذه السطور ليفخر ويعتز بدفاعه في العام ١٩٨٤ وفي ظروف سياسية معقدة ، في اطروحة لنيل درجة الدكتوراه حول المسالة الكردية ، عن استنتاج اساسي فيها مفاده ان صدور قانون الحكم الذاتي لمنطقة كردستان العراق يعد مكسبا تاريخيا للشعب الكردي ولكل الشعب العراقي ، لابد من التمسك به والدفاع عنه والعمل على تطويره من خلال التجربة والنتائج العملية لتطبيقه . وقد خلق هذا الاستنتاج حالة من الجدل والنقاش خصوصا وان اطروحة اخرى حول المسالة الكردية تمت مناقشتها انذاك ودافع مؤلفها ، وهو مواطن عراقي وعضو في احد الاحزاب الكردية العراقية ، كانت قد تضمنت استنتاجا مغايرا للاستنتاج المشار اليه حين اكدت ان صدور الحكم الذاتي سجل نهاية للامال الكاذبة .

لقد اكدت احداث السنوات التي مرت على ، ان بيان الحادي عشر من اذار هو البرنامج الذي يجسد ثمرة من ثمرات نضال شعبنا الكردي وكل الشعب العراقي ويعد واحدا من اكبر مكاسبه التقدمية وان جوهره هو الاعتراف بالحكم الذاتي لكردستان العراق ضمن اطار الجمهورية العراقية ، وهو يشكل باطاره العام انتصارا للافكار والبرامج الصحيحة التي طرحت لحل القضية الكردية ،[٣] .

وتتعدى الاثار الايجابية لحل المسالة الكردية حدود العلاقة مع القومية الكردية لتطول كل العملية الديمقراطية في بلادنا . وكذلك ترسيخ وتوطيد دعائم الوحدة الوطنية واشاعة الاستقرار في البلاد .

« وليس من ادنى شك في ان النتائج الايجابية التي سيتمخض عنها الحوار ستسهم على نحو فاعل وجدي في استكمال المرحلة الجديدة والمنهج الديمقراطي الذي يقوم على اساس الدستور والتعددية الحزبية . كما تسهم في ارساء مقومات الامن والاستقرار

في البلاد على دعائم راسخة ومتينة (....) وان الحوار الوطني قد حقق نتائج ايجابية مهمة ليس من شانها الارتقاء بتجربة الحكم الذاتي ورفدها بالمزيد من اسباب النجاح والازدهار والرسوخ حسب . وانما ستؤدي الى تعزيز وتصليب الصمود الوطني »[3] .

ان تحقيق الحكم الذاتي وتطويره يعزز قضية الديمقراطية ويجسد جانبا ملموسا مهما من جوانبها . «لان المسالة القومية الكردية تخص كل الشعب في العراق . كالعرب والاكراد وكذلك الاقليات القومية تعيش في ظل دولة واحدة وفي اطار شعب واحد هو الشعب العراقي الذي يواجه قضايا مصيرية واحدة واهداف ومصالح عليا واحدة» .[4]

ان تزامن بدء الحوار بين القيادة السياسية وقادة الاحزاب الكردية مع التوجه لتحقيق النهج الديمقراطي التعددي في بلادنا من شانه ان يرسي هذا الحل على اسس اكثر رسوخا واتساعا مما يمده باسباب اضافية للديمومة والنجاح المطرد .

اشكاليات جدية

الدين يمثل الظاهرة الاكبر في بلادنا التي تجسد وحدة وطنية واسعة سواء من خلال حقيقة ان الاغلبية من السكان تدين بالاسلام دينا او من خلال علاقات المسلمين باخوانهم من الاديان السماوية الاخرى .

يتميز الوضع في بلادنا بوجود التنوع المذهبي داخل الدين الواحد كما هو الحال بالنسبة الى المسلمين او المسيحيين ، الى جانب وجود طوائف دينية اخرى ومنذ تاسيس الدولة العراقية المعاصرة سادت كقاعدة علاقات ايجابية بعيدة عن اجواء التعصب والتوتر وتسودها اجواء التسامح بين مختلف الاديان والطوائف في ظل اجواء المواطنة العراقية التي يعتز بها العراقيون كثيرا .

ان ماسبق لايتنافى مع ظهور افكار وممارسات بعيدة عن العلاقات الايجابية وتتسم بمظاهر التعصب الديني او المذهبي خلال هذه الفترة او تلك . وكقاعدة اتسمت هذه الظواهر او احتدت بالارتباط مع حدوث تصدع او توتر في مجال السياسة الوطنية على مستوى السلطة السياسية او مجال الحركة الوطنية العامة فظهرت على نحو واضح واكثر اتساعا خلال السنوات الماضية : ظاهرة جديدة في ميدان السياسة والدين ، تتكم هي ظاهرة الاسلام السياسي . والتي تعني انشاء احزاب سياسية تلتزم بمبادىء الاسلام برنامجا لها على مستوى السلطة السياسية والدولة وفي مجالات الاقتصاد والاجتماع والثقافة .. الخ وشملت هذه الظاهرة عددا من البلدان العربية والمجاورة .

ان المعلم الاساسي لبرنامج الاحزاب المذكورة هو العمل من اجل تطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية على كافة ميادين مجالات الحياة . ويقود هذا المنهج الى اشكاليات واشكالات متعددة متنوعة اثارت وتثير الكثير من البلبلة السياسية والفكرية والتوتر الاجتماعي اضافة الى نتائجها على موضوع علاقة المسلم ، فردا او جماعة ، نفسه مع الدين والدولة .

ان في مقدمة تلك المشاكل والاشكاليات هي العلاقة بين القوانين الوضعية التي تعمل بها البلدان العربية ، وغيرها من البلدان التي ينص دستورها على ان الاسلام هو دينها الرسمي ، وبين القوانين التي تريد الاحزاب الاسلامية السياسية تشريعها في حالة وصولها الى الحكم . في حين ان هذه البلدان ، ومنها العراق ، تعمل بموجب دستور وقوانين وضعية تمس مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وسياستها الخارجية . ان الغاء القوانين

الوضعية واستبدالها بقوانين دينية الاثر ويثير جدلا واسعا كان الكثير من بين معارضيه كثيرا من المسلمين المؤمنين قولا وفعلا بدينهم الاسلام .

وعلى صعيد اخر ان وصول الاحزاب الاسلامية السياسية الى السلطة . مع وجود التنوع المذهبي المعروف في الاسلام . يعني من الناحية العملية ان تأخذ الفروقات بين تلك المذاهب طريقها ايضا الى القوانين التي يراد بها ادارة النظام في البلاد المعنية . وهذا لن يثير جدلا وربما توترا بين المواطنين المسلمين من المذاهب المختلفة وبينهم وبين ابناء الاديان السماوية الاخرى حسب . بل ودفع مثل تلك الظواهر الى مستوى العلاقات بين الدول الاسلامية نفسها . كل ذلك اضافة الى الجدل القائم اصلا حول امكانية تاطير كافة نواحي الحياة المعاصرة وما يكتنفها من تطور وتعقيدات وتداخلات ضمن اطار دستور وقوانين توضع على اساس ديني صرف .

وهناك اشكالية من نوع اخر هي امكانية بروز احزاب سياسية على اساس ديني اخر غير الاسلام في البلدان التي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون . كلبنان مثلا . علما ان الاحزاب الديمقراطية المسيحية في اوربا لاتضع هدفا لها اقامة نظام سياسي على اساس الدين المسيحي وسن الدستور والقوانين على أساس تعاليم الانجيل . ولا ادري اذا كانت الدولة الدينية المسيحية الوحيدة في العالم هي الفاتيكان . لاتاخذ بتطبيق تعاليم الدين المسيحي على كل جوانب الحياة بالنسبة لمواطني دولتها وبحذافيرها ام لا ؟ اما على مستوى الدولة الاسلامية هناك لحد الان مثلان احدهما عربي هو « المملكة العربية السعودية » والاخر هو « الجمهورية الاسلامية الايرانية » . ولم يقدم اي من هذين المثالين لحد الان مايثبت صحة توجه (الاسلام السياسي) . بالمعنى العام المشار اليه في اعلاه على وجه التحديد . لا على مستوى السياسة الداخلية او في العلاقة مع الدول الاخرى . وعلى كل حال فانه لامر ضروري وفي غاية الجدية دراسة ظاهرة (الاسلام السياسي) دراسة ملموسة ومتشعبة علما بانه . حسب رأيي . يوجد فرق كبير جذري بين الاحزاب السياسية الاسلامية بالمعنى المذكور اعلاه وبين القوى التي تؤمن بعمق بمثل الاسلام واهدافه ومثله العليا .

ان كل شكل من اشكال التعصب والانغلاق الديني او الطائفي هو اضافة الى تعارضه مع مثل الاسلام . وغيره من الاديان السماوية . التي تدعو الى اشاعة روح المحبة والالفة والتسامح والاخذ باليسر لا بالعسر . سيخلق مجالا خصبا لاعداء الوحدة الوطنية لشعبنا لاثارة ميول ونزعات الفرقة والاحتراب بين ابناء الوطن الواحد على نطاق واسع وخطير لان الاغلبية الساحقة من سكان العراق هم من المؤمنين بدينهم كما هو معروف والذي لعب دورا اساسيا في نضالهم الوطني ضد المستعمرين الاجانب ولعل في ثورة العشرين مثالا حيا على ذلك .

بدلا من الخاتمة

وحدتنا الوطنية هويتنا وعنوان نضالنا وسلاحنا الامضى في الكفاح من اجل اهدافنا وبحر مايدبر لبلادنا من افعال الشر والعدوان . وهي الاطار الاشمل لكل العراقيين على اختلاف اوضاعهم الاجتماعية واديانهم وانتمائهم القومي والسياسي والفكري . ولا عجب بعد ذلك كله ان تكون هدفا ثابتا لتخريبات الاعداء الذين يريدون ببلادنا وشعبنا وامتنا شرا .

فلنبذل الجهد فكرا وسياسة وعملا من اجل ان نعزز قلعة نضالنا بالعلم والنور ولنوشح برامجنا واهداف كفاحنا واساليبه بالوعي والموقف الصلب ازاء الاعداء . وبالصبر والاناة . بالشرح والتفصيل وبروح التسامح من ابناء الوطن الواحد .

الوحدة الوطنية العراقية نسيج حي متكامل . وبناء نريده شامخا وطيدا . لذا لابد ان يقوم على اركان متينة راسخة . والعنصر الاساس في هذه الوحدة هو الانسان العراقي الذي هو ايضا غاية هذه الوحدة التي توفر له عناصر القوة والعز والحياة الكريمة والازدهار . وهذا الهدف لابد وان يمر من خلال تمتع هذا الانسان باسباب الحياة المادية والروحية فعند ذاك سيغدو الوطن نشيدا

وحياة لائقة بالانسان ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، فالوطن اضافة الى معانيه العامة المادية والمثالية ، هو مسكن وغذاء ودواء وتعليم وحرية .. وكلما كان الوطن كريما مع ابنائه ، كلما كان الابناء اكثر قابلية واستعدادا للعطاء وللذود عن حياضه ووحدته واكثر اندفاعا في اعلاء صرحه ، بل والذوبان في كيانه .

هوامش -

(١) و (٣) افتتاحية جريدة ، الـــوحدة ، لعددها الصادر في ٢١ ايار ١٩٩١

(٢) و (٤) عمل يقلم ماجد عبدالرضا بشير في جريدة (النهار الجديد) الاسبوعية في عددها الصادر في ١٠ كانون الاول ١٩٧٣ حول (المسالة الكردية) وكان له صدى ايجابي واسع في اوساط الحركة الوطنية العراقية